المحاضرة11: أنواع القصة التقليدية.

تمهيد:

لقد كان العنصر الأول في القصة هو الطابع الشفوي، فكان الأوائل يفرقون بين الأخبار الحقيقية والأسطورية من خلال المشافهة، ثم تحتوي القصة على قصص طقوسية ذات وظيفة تعليمية[i]، ومن هنا يمكن القول إن القصة كانت في الأصل ذات خلفية مشتركة بين التاريخ والأحكام، ثم تحولت إلى حكم أسطورية مرتبطة مع الدين الذي تنبثق منه، وتطورت في الوقت الراهن إلى اتجاهات مختلفة تتماشى وروح العصر، وتخدم تجربة القاص الإبداعية، ولعل أهم اتجاهات القصة الحديثة والمعاصرة وروادها تتجلى فيما يأتي:

أولا- قصص التسلية والترفيه.

تهدف أساسا إلى تسلية القراء وإمتاعهم عن طريق حكايات تزخر بالمغامرات العجيبة والمخاطر الغريبة وتتجه إلى إرضاء رغباتهم وأذواقهم، وتخلو غالبا من الهدف الفكري، والموضوع الرئيسي فيها هو الحب الذي يربط بين العاشقين، أو قصص بوليسية «نشأت مع تطور الجريمة في العصر الحديث، وتطورت نتيجة استخدام الجريمة المعاصرة للأساليب العلمية، والقدرة العقلية، ودقة الملاحظة، وهذه القصة تقوم عادة على رسم خيوط دقيقة لجريمة ذكية تبدو وكأنها جريمة كاملة ملغزة ثم تتجلى براعة الكاتب في النهاية، في الوصول إلى الفاعل»[ii]، ويعتمد القاص غالبا عنصر التشويق والإثارة إلى أقصاه.

وانتشر هذا النوع من القصص بادئ الأمر في لبنان ومن ثم مصر وباقي الدول العربية، والحقيقة أن هذه القصص كانت قصيرة تقترب من القصة القصيرة، وأهم روادها: نجيب محفوظ، (اللص والكلاب)، عبد العزيز بن عبد الله، محمد بن التهامي، أحمد عبد السلام البقالي، الميلودي الحمدوشي، محمود سالم، عز الدين شكري (مقتل فخر الدين)،... الخ.

ثانيا- القصص التعليمية.

كانت القصة من الوسائل المهمة في نقل الحضارة الغربية، وتعريف المثقفين بالحياة الثقافية والاجتماعية في الغرب، ومعظم هذه القصص على شكل رحلات قام أصحابها بالرحلة إلى الغرب، جسدوا فيها شخصيات ومشاهدات عن الحضارة الغربية، والاستفادة منها في بناء الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في المجتمعات العربية[iii]، وتعد رواية "تخليص الإبريز في تلخيص باريس"* الرفاعة رافع الطهطاوي من أهم هذه القصص حيث يتحدث فيها عن النظم المتبعة في أوروبا، داعيا إلى التخلص من الجهل واقتفاء أثر الآخر في علومه وفنونه وصناعته وثقافته.

يضاف إلى ذلك قصة "علم الدين" لعلي مبارك، يطرح فيها موضوع اللقاء بين المجتمع العربي والحضارة الغربية من خلال سياحة رجل مصري اسمه علم الدين مع رجل انجليزي، وهي قصة تعليمية بكل

أبعادها[iv]، وكذلك قصة "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي تعد من هذا الاتجاه لأنها كتبت على شكل رحلة وهدفها الإصلاح الاجتماعي، تبحث داخل المجتمع عكس القصتين السابقتين.

ثالثا- القصص الرومانسية.

وهي التي تعلي كثيرا من شأن العواطف الفردية وتلجأ إلى الطبيعة باعتبارها مهربا من قسوة المجتمع ونقيضا لشروره[v]، ومن هذا الاتجاه قصة "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، والتي يصور فيها فتى مصري يذهب للدراسة في فرنسا فيهيم بفتاة فرنسية تبيع التذاكر في شباك للسينما، ويعيش في ظل الأحلام والخيال، إلى أن يتكشف له واقعها المختلف عن واقعه، وفي القصة حديث عن الرأسمالية والعمال والاشتراكية وله قصة رومانسية أخرى هي "عودة الروح"، ويعد جبران خليل جبران أيضا من أبرز من كتب هذا الاتجاه في بداية القرن الماضي.